السخرية ودورها الاصلاحي في منامات الوهراني و مقاماته

Irony and its reformist role inAl--Wahrani's manamat and his maqamat

أ.بلحرمة يوسف

جامعة عبد الحميد ابن باديس –مستغانم-

belhormayoucefibnmhadji@gmail.com

تاريخ الاستلام:2021/10/04 **تاريخ القبول:.**2022/01/13

الملخّص:

تمحور هذا المقال حول أثر أدبي جزائري قديم يرجع الى القرن السادس للهجرة، و هو بعنوان: السخرية و دورها الاصلاحي في منامات الوهراني و مقاماته، و يهدف هذا العمل إلى الكشف عن مكونات السرد في كتابات ركن الدين الوهراني خاصة ما تعلق منها بالسرد الساخر، كما حاولت في هذه الدراسة– وبالاعتماد على المنهج الوصفي والاجتماعي -الوقوف على دور و فاعلية الخطاب الساخر وتداعياته النفسية و الاجتماعية والاصلاحية كونه السلاح الوحيد والمتاح و المعلن لا سيما إذا تعلق الأمر بصفوة المجتمع وخاصته، حيث شكّلت المنامات والمقامات وجها فريدا للنقد الاجتماعي و محاولة لإصلاح ما يمكن إصلاحه .

الكلمات المفتاحية: السخرية؛ الدور الإصلاحي؛ المنامات والمقامات ؛ الوهراني.

ABSTRACT:

This article focused on an ancient Algerian literary impact dating back to the sixth century of migration, and it is entitled: Irony and its reformist role in Al-Wahrani's manamat and his maqamat. In this study, I also tried - and by relying on the descriptive and social approach - to determine the role and effectiveness of satirical discourse and its psychological, social and reform repercussions, as it is the only, available and declared weapon, especially when it comes to the elite of society and its own, where manamat and his maqamat formed a face Unique to social criticism and an attemp t to fix what can be fixed.

Keywords: Irony; its reformist role; manamat and maqamat; Al-Wahrani;

المقدّمة:

المعلوم أن ابا عبدالله محمد بن محرز بن محمد الوهراني (575هـ/1179م) صاحب المقامات و المنامات المشهورة جاء بعد مبدعي فن المقامات، الهمذاني (ت 398 هـ/ 1007 م) والحريري (ت 516هـ/ 1122 م)، والوهراني عاصر الحريري إلا أن الهمذاني جعل كلمة (مقامة) إحالة إلى جنس ادبي له خصائصه الفنية، يتوخى عبره الكاتب الافصاح عن افكاره الأدبية و يعبر عن تأملات وانفعالات وجدانية ومهارات لغوية مع صور

عن الاحتيال ومراسم الكدية، بعبارات منسقة ومقاطع موزونة، ذات ملامح بديعية، وسمات زخرفية دأب اهل هذا الفن عليها ، وهي في الواقع صدى لأذواق اهل ذلك العصر، لقد جمع الوهراني بين المقامة كفن خاصة وضوابطه وبين أدب الرسالة والمنامات فشق طريقه بوضوح بعيدا عن التعقيدات التي سار عليها مبدعو فن المقامات حتى السيوطي الذي عاش غالب حياته في القرن التاسع الهجري (ت 911 هـ/ 1505 م) حيث كانت لغة المقامة لديه تنهض على العمل بالألفاظ أساسا وعلى الغرابة المعتمدة في انتقاء المفردة المستعملة في السرد وعلى معمارية اسلوبية شديدة التنميق و زخرفة البديعة ، عالية الأناقة بديعة النسج إلى حد يمكن معه تشبيهها بالاصباغ التي يصطنعها الرسام في انجاز لوحة من لوحاته فجمالية الاسلوب وايقاعه هما احدى أهم خصائص هذا الجنس الأدبي العربي، و قد ارتبط هذا الفن عند ركن الدين الوهراني بنمط أدبي معين وهو السخرية ،وهذا راجع إلى كونها الشكل المتاح في ذلك العصر والقادر على التعبير عن الوعي ،وخطاب الكاتب الذي غلب عليه طابع غير مباشر منه استمدت السخرية مشروعيتها و هذا ما يدفعنا إلى التساؤل كيف تجلت تجربة الكاتب في تفعيل عناصر السخرية؟ و ما هي الأشكال الساخرة التي اعتمدها الوهراني في مناماته و مقاماته؟، وما هو الدور الذي تبناه الوهراني من خلال خطابه التهكمي الساخر، وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن مكونات ومحددات الخطاب التهكمي، وتبيان دوره في النقد الاجتماعي، و هذا راجع لما آلت اليه البلاد وقتئذ من تفكك و تشرذم وفساد الخاصة .

2- السخرية بوصفها موجها للسرد :

تميزت كتابات الوهراني بتراكيبها الساخرة والهادفة، ورغم تنوعها من فكاهة وهزل وتهكم واستخفاف اعتمد صاحبها على الحكايات الجانبية التي لا تكاد تخلو من عناصر الهزل، وسخرية الوهراني نابعة من الحس النقدي لديه إذ هو يسخر بهدف الإصلاح ليصبح فن السخرية في قمة الأعمال الإيجابية البناءة، ومحاولاته إنما جاءت لتطهير المجتمع من الظواهر السلبية التي انتشرت في المجتمعات الإسلامية كالبخل والرياء وفساد الأخلاق وتغلب الأمم الكافرة على بلاد الإسلام وفساد الحكام وما إلى ذلك، كما أنه أسلوب فني يهدف إلى إزالة الضيق من قلوب الناس" فهو عمل إنساني شريف لا يمثل بذلك رأي صاحبه فقط وإنما الرأي العام للناس والمجتمع كما هو الحال في أعمال المشاهير من رجال الكاريكاتير التي ينتظرها الناس في الصحف اليومية خاصة عند تعرض الأمة لحدث كبير أو هزة معينة في بلد من بلدانها..." 1 أهم أسباب هذا الفن تخفيف الضغط، الذي عانى منه الإنسان العربي وكل هذا جاء في مسارات سردية مارست النقد الاجتماعي القائم على رسائل اجتماعية وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل أن ممارسة فعل الكتابة الساخرة، من طرف الكاتب لم يكن ارتجاليا وليد التسرع وإنما نتاج فكر واع بالأوضاع المعاشة.

2-1- شخصية الوهراني الساخرة

تميزت شخصية الوهراني بالاستعداد الفطري، وهذا العامل يعد من المؤثرات الداخلية والملكات الطبيعية كاستعداده الفطري للهزل والسخرية والمرح ولجوئه للتعبير الساخر كونه وسيلة للتنفيس لأن الضحك لا يعبر دائما عن المرح والارتياح والانشراح فهو بمثابة القناع الذي يخفي وجه الحقيقة أحيانا".2 ولأن للبشر في مواجهة المواقف أساليب وطرق تختلف باختلاف طبائعهم وتبقى في حدود إمكانياتهم. فنرى البعض يواجهها بسذاجة وصرامة وغيرهم يتهرب منها بلباقة وقد تكون المواجهة ببعض الهزل الذي يخفف

من وطأة الموقف ،ولو أمكن لنا استعراض حال من يتبعون هذا الاسلوب الأخير فإننا نجد ذلك في طبيعة المتعلم المتأدب ناضج الفكر واسع الحيلة ،وكذلك كان **الوهراني** يعالج المشكلة بالهزل والسخرية والاستخفاف متخذا هذا الأسلوب حربا ناعمة على الخصوم فتجده مقوما لأحوال المجتمع بمختلف مستوياته، معتمدا في فنه على وصف الصورة كما يراها الرائي ،وكما يدرسها المصور البارع ليخرج للوجود لوحات فنية فريدة، وقد يكون هذا الدافع إلى هذا الإتجاه أيضا طبيعة النفس البشرية المتناقضة3، ما أن تمثل الجد والصرامة حتى تميل إلى الدعابة محاولة التخلص من الثقل وأعباء المجتمع.

وقد يكون الهزل غرضه التهرب من واقع الحياة وقد تكون أسبابه شخصية كحرمان الشخص من مكسب من المكاسب فيكون الهزل تعويضا لهذا النقص ،وقد تكون سلوكا فطريا كما هو حال الكاتب الذي اختار لنفسه أسلوب الهزل والتهكم حيث جمعت **مناماته ومقاماته** فصولا هزلية ومن ذلك ما كتبه على لسان بغلته إلى الأمير **عز الدين موسك** يقول :"المملوكة ريحانة بغلة الوهراني تقبل الأرض بين يدي المولى عز الدين حسام أمير المؤمنين،نجاه الله من حر السعير وعظم بذكره قوافل العير ،ورزقها من القرط والتبن والشعير ما وسق مئة ألف بعير واستجاب فيه صالح أدعية الجمع الغفير من الخيل والبغال والحمير، وتنهي إليه ما تقاسيه من مواصلة الصيام وسوء القيام والتعب بالليل والدواب نيام ..."4. يبدو **الوهراني** من خلال هذا الاستهلال بديع المسلك رشيق المأخذ يريد بلوغ حاجته بطريقة ظاهرها تثير الضحك وهي في الحقيقة تخفي الجد في مطلع جمالي يترك أثرا إيجابيا على المتلقي بوصفه الباب الذي من خلاله يلج الناص إلى نفس المتلقي.

الملاحظ أن الوهراني كان صاحب دعابة ومزاح كما أنه خفيف الروح مقبول الكلام وقد قال فيه **صلاح الدين منجد**: هو ثاني اثنين سلطهما الله على أهل دمشق أيام الأيوبيين **ابن عنان** في "مقراض الأعراض" وهو في كتاباته ومناماته.5 وسلوك الكاتب مسلك الهزل مرده إلى التكسب وطلب المال بنفس حجم سخطه على اوضاع ابناء الأمة خاصة النخبة منهم ، فهاهو يحدثنا عن نفسه في المقامة البغدادية يقول: "لما تعذرت مآربي، واضطربت مغاربي ألقيت حبلي على غاربي وجعلت مذّهبات الشعر بضاعتي ...فما مررت بأمير إلا حللت ساحته واستمطرت راحته ولا بوزير إلا قرعت بابه وطلبت ثوابه ولا بقاضي إلا أخذت سيبه وأفرغت جيبه ..."6 ، فمسلك الهزل واضح و جلي في هذا المقتطف.

2-2- أساليب السخرية و مداخلها

عمد الكاتب في معرض سخريته إلى العديد من الأساليب ومن ضمنها تأكيد الذم بما يشبه المدح وهي أن يقصد المتكلم إلى هجاء إنسان ما، فيأت بألفاظ موجهة ظاهرها مدح وباطنها قدح فهو يوهمه بأنه يمدحه وهو في الحقيقة يهجوه كما حصل مع **القاضي الفاضل** إذ احتال **الوهراني** لنفسه في السخرية من القاضي ليتولى قذف الرجل بما فيه وليس فيه ،مستعملا ما تعارفت عليه العرب من الأساليب التي تذكر في معرض المدح وقد اختار له من الأوصاف أخبثها لينتقل إلى الدعاء له بالغفلة وفعل المعاصي7 يقول: "وكتبت هذه الأحرف إليه يسر الله معاصيه..."8ثم يشكو إليه ما عنده من "الشوق إلى طلعته صلعته ويذكر حنينه إليه" حنين الجعل إلى الأرواث"9مستخدما أقبح العبارات وممعنا في السخرية من غريمه وكتب في تقليد رسمي للقاضي على الطريقة الديوانية الجادة بأسلوب ساخر متهكم يقول "هذا ما عهد قاضي قضاة الفاسقين

وناصر دين العاشقين وإمام العصاة والمنافقين ... وهو يومئذ متولي قضاء الفسق في الإسلام نافذ القول في الأغشام،ماضي الحكم في المغرب والعراق والشام."10

الكاتب وكعادته عهد إلى الأسلوب الساخر لينال من غريمه الأزلي **القاضي الفاضل** في موضع الجد إذ وصفه وحلاه بأجمل الأوصاف كما دعا له بالسداد والتوفيق في الفساد وأقره على رأس سوق الكفر والفسوق يقول "إليك أيها القاضي الأجم فخر السيادة وتاجها، خطب المعاصي وسراجها، جمال الفسقة وعينها، شرف الزناة وزينها ...أدام الله لك السرور، ومتعك بالغفلة والغرور..."11.ليختم بالدعوة للرجل وحثه على الإيغال في المعصية بأسلوب اجتمع فيه ما لا يجتمع من المتناقضات ليزيد الكتابة عمقا والمعنى غموضا ،والنظم قوة وجمالا يقول: "فاحذر من الاضطهاد، وشمر عن ساق الاجتهاد، ولا تترك شيئا من أمور الفسق مطلقا ولا بابا من أبواب المعاصي مغلقا وثق بعفو الغفور الرحيم ..."12 فالمقطع يحمل رسائلا أقل ما يقال عنها أنها حادة الوقع بالغة الأثر تمثل أبشع صور الفساد لاسيما فساد رجال الدولة.

3- السخرية و النقد الاجتماعي

يتدرج الكاتب في سخريته اللاذعة من طورها الخاص إلى الطور العام ليجترئ على طابوهات المجتمع وعلى رأسها الدين، ففي مقتطف له حاول الكاتب تفنيد معتقدات الشيعة الإمامية القاضي بمبدأ التقية واحتجاب الإمام الذي يخرج من السرداب ليملأ الأرض عدلا وكل هذا جاء في أسلوب تميزت ألفاظه بالإيحاء اللامتناهي والثورية والتلاعب بالألفاظ والمعاني لتخذ في الكثير من الأحيان أبعادا لننتقل إلى التحقير الساخر واستعمال المفارقات يقول:"وحق الحجاب والكتاب، والبغلة والسرداب، والإمام القائم الحي الدائم الذي لا يموت ولا يفوت ولا يحتاج إلى القوت ..."13ليعرج إلى العلاقة الصحابة و علي رضي الله عنهم مبطلا زعم الإمامية ومبينا بطلان مذهبهم وظلال فكرهم في أسلوب هزلي جعل من التاريخ مادة له يقول: "وإن أصحابه العشرة لم يتمالئوا على ابن عمه حيدرة وأن ابن أبي قحافة أحق منه بالخلافة ... وأن أهل السنة يدخلون الجنة، وإن مذهب الشيعة كسراب البقيعة ،وإلا حشرني الله مع يزيد إذا قالت النار هل من مزيد، وسلط علي أنواع البلاء ، ولا حشرني مع شهيد كربلاء".14 الكاتب و في معرض سخريته من عقائد الإمامية الباطلة يبين فضل آل البيت سمو منازلهم، وقام في مفارقة بتقرير بطلان عقائد هذه الفرقة وإلا فإن الله لن يحشره في الجنة مع الحسين رضي الله عنه شهيد كربلاء.

استطاع **الوهراني** من خلال منامه الكبير أن يفضح العديد من الشخصيات سواء المعروفة أو المضمرة حيث لم يسلم أحد من سلاطة لسانه. و الأعجب هو إتهام أهل القرآن ليشكل الكاتب مفارقة شنيعة تتمثل في اتهام العلماء والمحدثين بممارسة الأفاعيل الخسيسة التي تتنافى وقداسة المهام المنوطة بهم ،وتمكن **الوهراني** من الجمع بين المقدس والمدنس، وإذا أمعنا النظر نجد أن الوهراني لم يستثني نفسه كما تمكن من استدعاء مجموعة من الشخصيات وقام بإقحامها في سياقات ومواقف تفيض بالنقد الاجتماعي اللاذع،15 الذي وصل إلى حد التطاول والوقوع في المحظور الشرعي أحيانا.

وفي موضوع متصل بالمنام يقدم السارد أحد الشخصيات المغمورة بصورة مخزية وهذه الشخصية **معن بن حسن** وكما يبدو في كلام السارد أنه كان غارقا في المجون والفسق من أخمص قدميه حتى قمة رأسه ليقوم

بفضحه في حضرة الإمام **علي رضي الله عنه** إذ يقول على لسان أحد شخصياته وهو حجا :"والله يا أمير المؤمنين لتسمع في صحيفة أعماله من الفضائح مالم تسمح بمثلها..."16 **فالوهراني** وعلى لسان **حجا** أشار إلى مستوى المتدني الذي بلغته أخلاق الخاص قبل العام.

وتتوالى المشاهد في المنام الكبير لتحمل من النقد الاجتماعي الشيء الكثير ، وفي أحد هذه المشاهد يسلط السارد الضوء على خيرة أطباء زمانه ويدعى" **المهذب بن النقاش**" الذي عرف بصلاح دينه ودنياه ويظهر انتقاد هذا الطبيب في سياق الأحداث التي تشكلت وفق آلية حوار دار بين مجموعة من الشخصيات وعلى رأسها **أبو المجد بن أبي حاتم** والذي يبدو أنه كان طبيبا ايضا وبين مجموعة من القوم بينهم الراوي:"فقلتم:هذا **عزرائيل** ملك الموت وهو يعتنى **بالمهذب** عناية عظيمة وهو الذي شفع فيه وخلصه من العذاب المقيم. فقلت لهم: من أنى هذه المعرفة بين **المهذب وعزرائيل.**فقال لي **أبو المجد بن الحكم** :من جهة الطب، أما علمت أن **المهذب** كان من خيار أعوان ملك الموت في دار الدنيا، ما دخل قط إلى عليل إلا ونجزه في الحال، وأراح ملك الموت من التردد إليه وشم الروائح المنتنة .."17. في هذا المقطع تظهر خفة روح السارد الذي سخر من أطباء زمانه كونهم لا يتقنون مهنتهم الإنسانية فيكونون سببا في هلاك مرضاهم لجهلهم بعلوم الطب وخفاياه ولاستهتارهم بحياة الناس .

وفي مشهد آخر يعرج السارد هذه المرة على القضاة مبينا فسادهم و زيغ مذهبهم وتبجحهم وجهلهم بأمور الدين والدنيا، ساخرا منهم تارة، وناصحا لهم تارات أخر مبينا أنهم حمقى لا يصلحون لهذا المنصب الرفيع الحساس في الدولة.ويظهر هذا جليا في حوار جرى بين **معاوية بن أبي سفيان** والقاضي الفقيه **ضياء الدين عيسى** والذي جاء فيه: "قال **معاوية**:ليهنك يا فقيه لقد عرض لك اليوم من أفعال الخير ما غبطك عليه النبيون والملائكة المقربون، ولولا ما ظهر من تعصبك لأهل الشر لطرت مع الملائكة إلى سدرة المنتهى ..."18.فرد عليه **القاضي ضياء الدين**."مثل من يا خال المؤمنين* .قال:مثل هذا المكي الأسود الكادوم آخذت له دارا في القصر وضيعة مقورة وعشرة دنانير وليس يستحق من هذا كله رغيف شعير فقال:لما يا أمير المؤمنين، فقال:لأنه أبخل من ابن بنت الكلب لا يشبع بالخبز في بيته ولا يأكل اللحم إلا في بيوت الناس ...له أربعون سنة يقرأ لا يحفظ مسألة في الفقه ولا آية من كتاب الله ... ويمشي وبين يديه عشرة من الغلمان كلهم يتساقطون من الجوع ويقول لهم: قال لي السلطان وقلت للسلطان، والسلطان لا يستطيع أن يبصره في المنام..."19.يظهر من خلال هذا المقتطف أن اختيار **الوهراني** لهذه الشخصية السلبية والتي في الأغلب تمثل دور القاضي كان مقصودا و له ما بعده .

هذا القاضي الذي اجتمعت فيه مجموعة من الخصال المذمومة كالبخل والجهل والحمق وتعاطي الرشوة ودناءة النفس والتباهي والادعاء الكاذب والنفاق20 ماهو إلا عينة عن قضاة ذاك الزمان كما عبّر السارد عن إدانته للمجتمع الذي انقلبت فيه الموازين والمعايير الاجتماعية الذي منح الخصال فرصة العيش الباذخ وتقلد زمام أمور المسلمين في حين أن العلماء والمصلحين يعانون الأمرين وتلك هي مأساة ذوي العقول منذ سالف الأزمان وهذا سببه سوء تقدير القائمين على البلد والمسؤولين على العباد.

3-1- الوهراني و الفقهاء زمانه

في مقامة أخرى يعمد الكاتب إلى السخرية والتهكم من علماء وفقهاء زمانه ليسرد قصة أحدهم، وكيف تم له الأمر ،ليصبح إمام وقته منفذا رغبة زوجته العجوز التي حاولت جعل هذا الزوج _ و الذي هو الإسكافي في الأصل_ مثلا يحتذى به، لتفاخر به أترابها وكل هذا ورد في أسلوب تميز بالإيغال في إظهار العيوب والنقائص وتضخيمها لالتقاط صورة مشوهة للعلماء والفقهاء يقول السارد: "فقامت على الفور، وهو من ورائها كالثور حتى دخلت السوق ،وفتحت له العباب وفصلت عليه الثياب ولم يفارق الدكان حتى قالت له: كن فقيها فكان:"21قام الكاتب بقصر العلم والفقه وحصره في المظهر و الملبس ليسرد مجريات هذا الفقيه العالم الذي لا هم له إلا تحقيق رغبة زوجته العجوز "قال **عيسى بن حماد** ...اعلم أنه لما اجتمعت العجوز على تعليمه ورده إلى المدرسة وتسليمه تخوف من ذلك الأمر، وبات ليلته على الجمر وقال لها يا هذه اعلمي أني كنت في بلدي إسكافا ...فكيف لي بالمدارس وأنا كالطل الدارس...والله لا أفرق بين الحروف وبين قرون الخروف..."22 ولأن السخرية في هذا المقطع بالذات هي نوع من النقد وإن عمدت كما أسلفنا إلى تضخيم العيوب وتشويه صورة الشاب وهذه الأخيرة لا تتعارض مع الصدق الفني لدى الكاتب بوصف هذا النوع من السخرية سبيل للتعبير عن الأفكار بطريقة فنية23 هدفها الإصلاح.

تبدأ العجوز دروسها وهي تحاول أن تحشو رأس الشاب القسنطيني بالمعارف دفعة واحدة تقول: "وافتح لهذا الدرس أذنك،واعلم أن الألف قائم كالمغزل،وهو كباب المنزل والباء كالصنارة...وكل مدور ميم، وكل معوج جيم والصاد تشبه نعالك ..."24.ثم تقوم هذه العجوز في مبادرة منها في التحضير لأول مناظرة بين عالمها وعلماء البلد ثم قال لها :"أوصني رحمك الله"25فقالت له كلمات اختزلت صفة علماء ذلك الزمان "إذ جلست فتربع ولا تتقنبع وأنشر أكمامك، وأظهر للناس أعلامك ... إذ حضرت فانفخ بطنك وأنفش بين الفقهاء ذقنك، وباكر المدرسة في الصباح وسابقهم إلى الرواح وإن غلبوك في العلم فلا يغلبوك في الصياح ..."26قد استطاع **ركن الدين الوهراني** في هذه المقامة أن يرصد ظاهرة العلماء المدعين وفي قدرة غير عادية تمكن من استثمار كل معنى يخدم هذه القضية لتتابع هذه المعاني للحكم الهادف الذي استدعى أبلغ الأوصاف حتى تؤدي السخرية دورها لتصبح هذه الأخيرة ليس أمرا مقبولا فحسب بل أمرا مطلوبا و ضروريا.

4- مكونات السرد الساخر في منامات الوهراني

يقوم السرد الساخر لدى الوهراني على الإفادة بوضوح من اسلوب المفارقة، ومن خلال استخدام التهكم والسخرية والاهتمام بالشخصيات المهمشة التي تمثل قاع المدينة ، فقد كشف في مناماته عن اخلاقيات تلك الفئة المسحوقة مما يعني أن المقامة و المنامة أدب يمثل الطبقات الشعبية يصور طبيعة الشخصيات السلبية في المجتمع وهي تستسلم للواقع، مستخدمة المقاومة السلمية، والركون إلى الصمت والسكينة والانطواء على خلاف شخصيات الشطار والعيارين التي تتخذ اسلوب المشاكسة لمناهضة الواقع السياسي ولهذا فإنّ حكايات المقامات تقترب . احيانا . من ادب الكدية والذي يستقي مادته وصوره الحية المتحركة وانماطه الأدبية ونماذجه البشرية من فن الكدية وهو ما يقرب منامات الوهراني من أدب المُلح والنوادر الذي ينحو به منحى الطرفة والنكتة والنادرة والملحة وما إليها مما ينحو منحى الفكاهة والهزل.

4-1- الخرق البلاغي في المنام الكبير

وفي منام آخر من **منامات الوهراني** استخدم السارد آلية من آليات السرد الساخر وهي ظاهرة الخرق البلاغي إذ أخذ من الحلم ميدانا لعرض الأعاجيب بعيدا عن الرقابة الواعية لتمثل الغرابة طريقة من طرق السخرية اللاذعة ووسيلة للفت انتباه المتلقي مستغلا ما في النفس من كلف في سماع الغرابة والتي أخذت منحى جمالي، ولأنّ الكاتب كان واعيا بأن السرد لابد أن ينبني على قواعد فريدة لا ما عهده المتلقي ،ولذلك كان على النثر أن يتوسل بالغريب والمبالغة ، ويعانق الحلم ويستخدم الخرق الذي يضفي على النثر صبغة متفردة تعمل على تكثيف الغموض27 يقول السارد: "فلم أشعر إلا و الحائط الشرقي قد انشق وخرج منه شخص عجيب الصورة ليس له رأس، ولا رقبة البتة وإنما وجهه في صدره، ولحيته في بطنه مثل بعض الناس..."28أضفت الغرابة على كتابات **الوهراني** صبغة ضبابية لتتشكل في بوتقة السرد لتخرج في وشاح جمالي لا يضاهيه شيء،كما جاء سرد **الوهراني** على شكل شفرات نصية سلط الضوء على العديد من القضايا العامة ،والجوانب المظلمة وهذا لن يتحقق دون الخرق الذي كسر حدود الواقع لينزع إلى التخييل المفارق لقوانين الواقع الطبيعي فالعجيب هنا ليس إلا وجها آخر للواقعي أو الطبيعي"29ولعل هذا ما أراده الكاتب بقوله "مثل بعض الناس" قاصدا غريمه الأبدي **القاضي الفاضل** ليبسط نظاما سرديا قائما على" التخييل والذي تجسده جملة من السمات كالتصوير الحسي والمشابهة والوصف والمبالغة،لا تنفي عنه ما يضطلع به من الوظائف التواصلية والحجاجية والمعرفية والخلقية"30ولم يكتف الكاتب في تهكمه من **القاضي** عند هذا الحد بل أطنب في القول "وفي يده اليمنى زربول ...فقمت إليه هيبة له وخوفا على نفسي منه فقلت له: من أنت يرحمك الله؟ فقال: أنا **أبو خطرش** من بني دردبيس ..."31.**فالوهراني** ورغم تهكمه من القاضي الفاضل يقدر قوة الرجل وخصوصا لما يحمله في يده ،وهذا رمز لعصا السلطة التي كانت في يد الرجل وهي نفسها التي حرمت الوهراني من الالتحاق بديوان الإنشاء.

4-2- التناقض الساخر في المنامات

وفي مقامة آخرى عمد الكاتب إلى تقنية التناقض الساخر وفي ذلك من معرض حديثه عن الصوفية ومجالسهم ليحيك لهم من الصور أبشعها لتصل أحيانا إلى حد التصوير الكاريكاتوري الساخر، يقول مادحا أحد أقطابهم ورموزهم:"...وأدام عزه و نعماه حتى يقر قرار المولى في موضع واحد..."32 الكاتب أسهب في ذكر هذا الصوفي وفضائله وكرامته إلى أن وصل إلى قوله حين سمع الصوت غناء جارية "فإنه لما سمع ذلك قام وقعد وصاح ولطم ونتف شعر زعنفته...وجرى إلى الشمعة ليحرق لحيته فيها فلم يترك وحلف بحياة الجماعة..."33 ثم كررت الجارية الغناء ليعود الرجل إلى الإغماء والانتشاء في مشهد مجسد صور فيه الكاتب أدق التفاصيل ملمحا إلى أثر هذه المجالس في تحريك الشهوات خصوصا إذا كانت المجالس مختلطة في أسلوب هزلي لطيف المسلك بعيد المأخذ يقول :"فإنه لما سمع بذلك طرب طربا عظيما وضرب بعمامته وجه المغنية... وخلع ثيابه وبقي عريانا ..وأقبل يمشي على أربعة ..."34 فالكاتب حاول وصف موعدا من مواعيد المتصوفة وهم يجتمعون رجالا ونساء وذكر طرقهم وهم على تلك الصفة من الهز والتمايل وما هم فيه من التيهان وشق الأثواب وتشبه بالأنعام ثم "أقبل يصيح صياح الديوك والغربان وينهق نهيق الحمير والبغال

ليقبلن...حتى فعل بها ذلك"35 وفي نهاية هذا العام نقل الكاتب مجلسا من مجالسهم وقد حضر عندهم "المرتضي المغني "وقد أنشدهم أبياتا **لابن رشيق المسيلي**36**تقول :**

*فتور عينيك ينهاني و يأمرني * وورد خديك يغرى بي ويغريني

*أما ليت بعت ديني واشتريت به * الدنيا فما بعت بك الدين بالدون

*سبحان من خلق الأشياء قاطبة * ترى صور ذاك الجسم من طين

*أستغفر الله و الله ما نفعت * من سحر ألحاظه آيات ياسين

قال: "فإنهم لما سمعوا ذلك هاجوا وماجوا وصاحوا وباحوا وزعقوا ونعقوا وقفزوا إلى السماء ونزلوا إلى الأرض، وضربوا بأرجلهم حتى انخسف ببعضهم الموضع الذي كانوا فيه، فنبشوا من تحت الردم أمواتا فغسلوا وكفنوا ودفنوا، وبعضهم يرقص لا يعلم مما جرى.... "37 وكعادته يلجأ الكاتب إلى التذاكي والإبداع بغرض السخرية والتهكم اللاذع من المتصوفة 38 وعاداتهم معتمدا على دقة التصوير وروعة الملاحظة محاولا رسم صورة فكاهية إذ تكاد تكون مجسمة أمامنا ،وهذا هو دأبه في ايثار المفارقة والانتقال من موقف إلى آخر والاستفادة من الحكم والامثال.

وفي سياق متصل و في معرض حديثه عن الصوفية يذكر الراوي لقاءا له مع أحد المتصوفة يقول:" أني خرجت ليلة الجمعة إلى الفراقة –المقبرة- من درب الصفا فلما كنت بين تلك الأكوام لقيت هناك شيخا طويلا في زي الصوفية عليه أثر السفر"39يعرض الكاتب أول لقاء مع هذا الرجل المتصوف ليدور بينهما حوار من شأنه أن يحمل العديد من الرسائل والقناعات والرؤى"فقلت له:من أين أقبلت أيها الشيخ...فقال:كنت عند **يخبوز** ملك الصين، بلغني أنه قد مالت نفسه إلى دين الإسلام فخرجت إليه من بلاد الزنج بعد الظهر فثنيته عن رأيه ورجعت أطلب مدينة قرطبة في هذه الليلة أتمم الفساد بين أولاد **عبد المؤمن**"40. ليتواصل الحوار بين الكاتب والرجل المتصوف موجها إليه سؤالا "من أنت عافاك الله".41 ويعرف الرجل المتصوف عن نفسه قائلا بأنه **إبليس** اللعين42،وفي جمالية بديعة استطاع الوهراني أن يجمع بين نقيضين **إبليس والمتصوف** العابد الزاهد، وهي إشارة ساخرة منه تحمل العديد من الرسائل المشفرة، والتي تمحورت في مجملها في مسخ صورة المتصوف ولعل هذا راجع إلى نوازع الكاتب النفسية وقراءاته الميدانية لتتحول احيانا الى لون من الكوميديا السوداء.

وفي مقامة اخرى عمد الناص إلى آلية من آليات السرد الساخر والتي من خلالها يحافظ النص المقامي على تماسك عناصر الحكي، وأقصد آلية الحوار بوصفه عصب هذه المقامة كما يدل على ذكاء المحاور وقدراته الفكرية والمعرفية وملكته اللغوية في السخرية من الشخص المحاور43والأهم من ذلك فهو يحدد الطبيعة النفسية والإنسانية للشخصيات.

وفي المنام الكبير و في موقف مهيب من مواقف الحساب بدا الوهراني ساخرا من طائفة من العلماء والأدباء ورجال الدولة واتهمهم بأبشع الأفعال و المنكرات ويتجلى أحد هذه المواقف الساخرة في قوله "فما انقضت أمنيتي حتى طلع **عبد الواحد ابن بدر** من جانبي وقال لي الساعة رأيت عدة جوار يطلبونك مع بعض الأولاد يزعمون أنهم منك، وأنت تنفيهم عنك،و بعضهم يدعي أنك بعتهم لغيرك وهم حبالى منك..."44إذا دققنا

النظر إلى هذا المقتطف من المنام الكبير نجد أن الوهراني يسخر من نفسه أولا كونه جزءا من المجتمع الذي ينسب إليه حيث اتهم نفسه بمفاسد لا تليق بمثله.

5- الخاتمة

لعبت السخرية في كتابات الوهراني دور كبير إذ كشفت على عديد مشاهد و قامت بتعرية الواقع وبينت حجم الفساد المتغلغل في أركان الدولة آنذاك و كل هذا جاء بأسلوب متهكم واستحضار العنصر العجائبي أو النص الخارق الذي يخضع لقوة خيال الكاتب45 الذي لا يستقل عن السرد مما دفع أحد الباحثين إلى القول:"إنها إحدى نتائج الإبداع الساخر الذي يعتمد على الحوار لإدراكه"46 والتي استطاع من خلالها الكاتب أن يرقى إلى أعلى درجات التحليل النفسي والتي لا يحسنها إلا شخص عارف بمكنونات النفس لتسجل المنامات والمقامات دراسة اجتماعية عميقة لذات الانسان العربي.

الإحالات:

1 - نزار عبد الله ضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي حتى نهاية القرن الرابع، دكتوراه في العلوم، جامعة مؤتة، قسم اللغة العربية وآدابها، 2005، ص 11.

2_ المرجع نفسه، ص 23.

3 - أنظر: المرجع نفسه، ص25.

4 - ركن الدين الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تح إبراهيم شعلان محمد تعش، د.ط، 2007، الجزائر ، ص 90.

5 _المصدر نفسه ،ص 2.

6 - المصدر نفسه، ص 1.

7 - أنظر:بن أبي الأصبع المصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ، تح حنفي محمد شرف،المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ،ط1،الجمهورية العربية المتحدة.

ص 550.

8 - ركن الدين الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، ص 145.

9 - المصدر نفسه.

10 - المصدر نفسه، ص 177.

11 - المصدر نفسه.

12 -المصدر نفسه، ص 178.

13 - المصدر نفسه' ص 140.

14 -المصدر نفسه، ص 141.

15 - ينظر:علاء الدين محمد رشيد، المنامات لون نثري في الأدب العربي، ص 329.

16 - ركن الدين الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، ص44

17 - المصدر نفسه، ص 41.

18 - المصدر نفسه ، ص 54.

*خال مؤمنين : هو لقب لمعاوية بن ابي سفيان كونه اخو ام المؤمنين رملة بنت ابي سفيان رضي الله عنهم جميعا.

19 - ركن الدين الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله ، ص 55.

20 - ينظر: علاء الدين محمد رشيد، المنامات لون نثري في الأدب العربي، ص 333.

21 - ركن الدين الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله ، ص 99.

22 -المصدر نفسه،ص99.

23 - أنظر: شعيب بن أحمد بن محمد، أساليب السخرية في البلاغة العربية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، قسم البلاغة والنقد، 1414 هـ،ص 251.

24 - ركن الدين الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله ، ص 100.

25 -المصدر نفسه، ص 68.

26 - المصدر نفسه ، ص 101.

27 - أنظر سعدلي سليم، تشكلات السرد الساخر في منامات ومقامات الوهراني، ص 68.

28 - ركن الدين الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله ، ص 153.

29 - محمد مشبال، البلاغة والسرد، مكتبة الخليج العربي، تطوان، المغرب،2010، ص 10.

30 - المرجع نفسه، ص 16.

31 - ركن الدين الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله ، ص 153 .

32 - المصدر نفسه ، ص 103.

33 - المصدر نفسه، ص 104.

34 - المصدر نفسه ، ص 106.

35 - المصدر نفسه ، ص 105-106.

36 - المصدر نفسه، ص 106.

37 - المصدر نفسه ، ص 107.

38 - نزار عبد الله ضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي حتى نهاية القرن الرابع ،ص 96.

39 - ركن الدين الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله ، ص 86.

40 -المصدر نفسه، ص 186-187.

41 - المصدر نفسه، ص 87.

42 - أنظر: المصدر نفسه ،ص87

43 - أنظر نزار عبد الله ضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي حتى نهاية القرن الرابع، ص 105.

44 - ركن الدين الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله ص25.

45 - أنظر كمال أبو ديب، الأدب العجائبي والعالم الغرائبي، دار الساقي ، ط1 ،2007 ، بيروت .ص 48.

46 - محمد رشيد ثابت، البنية القصصية ومدلولها الثابت في حديث عيسى بن هشام،مجلة دراسات البصرة ، ع 17 ، 2014ص 87.